العنوان:	الحجاج السياسي عند الجاحظ: رسالة "جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية" أنموذجاً
المصدر:	سياقات اللغة والدراسات البينية
الناشر:	Natural Sciences Publishing
المؤلف الرئيسي:	الغامدي، حنان عبدالله سحيم
المجلد/العدد:	مج5, ع1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2020
الشهر:	أبريل
الصفحات:	43 - 70
رقم MD:	1047267
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	السياسة، الحجاج، الحجاج السياسي، الخطاب الحجاجي، الخلافة، الإمامة، رسالة جمل جوابات العثمانية، الجاحظ
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1047267

© 2022 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الغامدي، حنان عبدالله سحيم. (2020). الحجاج السياسي عند الجاحظ: رسالة "جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية" أنموذجاً.سياقات اللغة والدراسات البينية، مج5, ع1، 43 - 70. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1047267

إسلوب MLA

الغامدي، حنان عبدالله سحيم. "الحجاج السياسي عند الجاحظ: رسالة "جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية" أنموذجاً."سياقات اللغة والدراسات البينيةمج5, ع1 (2020): 43 - 70. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1047267

© 2022 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

الحجاج السياسي عند الجاحظ

رسالة (جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية) أنموذجا

د. حنان عبد الله سحيم الغامدي

أستاذ الأدب والنقد المشارك

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية اللغات والترجمة - جامعة جدة

المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: alotus2010@hotmail.com

الاستلام	٢٠٢٠/٢/٢٠	المراجعة	٢٠٢٠/٣/٢٥	النشر	٢٠٢٠/٤/٣٠

الملخص:

تسعى الدراسة إلى تحليل الخطاب الحجاجي عند الجاحظ في رسالة (جمل جوابات العثمانية) وتحديد موقفه من الخلاف التاريخي في عهد الخلفاء الراشدين حول الخلافة وتولي الحكم ، لذا قسمت الدراسة إلى تمهيد ومبحثين ؛ عرفت في التمهيد بمصطلحات الدراسة واللبس الذي أحيط بتسميته، ثم تناولت في المبحث الأول : الخطاب الحجاجي عند الجاحظ فتوقفت عند آلياته واستراتيجيته الحجاجية، وتطرقت في المبحث الثاني إلى المضامين الحجاجية عند الجاحظ، وتعالق حجاجه بمعارف عصره، والغايات التي سعى إليها من خلال مناظراته وأقواله، مستعينة بمعطيات المنهج الوصفي وموظفة لأدواته التحليلية ، وخلصت الدراسة إلى تصنيف حجاجه كحجاج استدلالي تنوعت آلياته الحجاجية ، وكشفت عن مواقفه الفكرية والسياسية تجاه الإمامة، وتأثير فكره الاعتزالي على رؤيته.

الكلمات المفتاحية:

الحجاج، السياسة، التعالق، الاعتزال، الجاحظ، علم المعرفة.

Al-Jahiz's Political Argumentation: Tractate of "Total Othmani Answers to Total Rafidi and Zaidi Questions" as a Model

Dr. Hanan Abdullah Suhaim Al-Ghamdi

Assistant Professor of Literature and Criticism

Department of Arabic Language and Literature

College of Languages and Translation

Jeddah University - Kingdom of Saudi Arabia

Email: alotus2010@hotmail.com

Received	20/2/2020	Revised	25/3/2020	Published	30/4/2020

Abstract:

The study seeks to analyze the argument rhetoric at Al-Jahiz's tractate to determine his position on the historical disagreement during the era of the Rightly Guided Caliphs on succession and assumption of rule. The study was divided into a preface and two topics: The first: The Argumentation discourse at Al-Jahiz, on argumentation mechanisms and strategy. In the second topic, I discussed argumentation contents of Al-Jahiz and his argumentation related to the knowledge of his time. The study concluded that his arguments were classified as inferential argumentation, mechanisms diversified, and revealed his intellectual and political attitudes towards the Imamate, and the effect of his Moa'tazili thought on his vision.

Key Words:

Politics, argument, the imamate – al-Jahiz.

المقدمة:

دب الخلاف في جسد الأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم-ولم تخمد ناره إلا بعد أن نصّب أبو بكر الصديق خليفة للمسلمين بعد جولة من الشدّ والجذب، ليخلفه بعد ذلك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بتزكية منه، فعثمان بن عفان الذي شهد عهده بذور الفتنة الكبرى التي جددت الخلاف، وحولت المسلمين إلى فرق، وخاصة بعد خوض بعض الصحابة-رضوان الله عليهم-في الفتنة. فظهرت الخصومة حول أحقية عثمان وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-بالإمامة دون الآخر، ليبدأ فصل جديد أكثر عمقًا، خاصة حين طالب بعض الصحابة بالثأر لدم عثمان وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان.

وتجلت تداعيات ذلك الجدل الفكري والمذهبي على الحياة السياسية والفكرية حينئذ، فبزغ علم الكلام في صورة سجالات وفرق، شكلت منظومة القيم الفكرية والجدلية آنذاك. وكان من ثمارذلك الجدل ظهور الفرق التي اتخذت من الحوار وإقامة الحجة سبيلًا إلى التوفيق والإصلاح، فسعوا إلى محاولة التقريب بين الطوائف، إلا أن الأمر ازداد سوءًا حين تداخل المسلمون مع أصحاب الديانات الأخرى التي لم تتخلص من حقدها على الأمة حين مرغت أنفها في التراب، وخاصة (الفرس) فكانوا أكثر الأقوام كيدًا للدين في ذلك العصر[١]؛ لذا تغلغلوا؛ لبث سمومهم بين المسلمين، وكان من أوائل من تصدى لهم أهل السنة والجماعة، ومن سار في ركبهم من الفرق كالمعتزلة، الذين كانوا أصحاب منطق وبيان، وقدرة على المحاججة والإقناع. فالتف الناس حولهم حتى أن أهل البصرة كانوا يدفعون أبناءهم إلى مجالسهم للتأدب بآدابهم، وقد تتلمذ على أيديهم كبار العلماء والشعراء.

"فانبرى المعتزلة بقيادة رؤوسهم كالجاحظ وغيره؛ لمواجهة خصومهم من الفرق الأخرى، معتمدين في ذلك على الحجج العقلية لرد شبهات (الجبرية) و(المرجئة). وقدم المعتزلة العقل على النقل في الحكم على الحوادث، وحل المشكلات الفقهية".[٢]

وتأتي رسالة الجاحظ (جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية) ثمرة من ثمار هذا الطريق (الوعر). وهو ما تسعى الدراسة إلى محاولة استجلاء معالم وجهه الحجاجي ذي الطابع السياسي، خاصة أنه صاحب الوصية الشهيرة للمؤلفين في الالتزام بتجلية الأفكار، ومواجهة الخصوم، يقول في ذلك:

"ينبغي لمن يكتب كتابًا ألا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء، وكلهم عالم بالأمور، وكلهم متفرغ له، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلًا، ولا يرضى بالرأي الفطير، فإن لابتداء الكتاب فتنة وعجبًا. فإذا سكنت الطبيعة، وهدأت الحركة، وعادت النفس وافرة، أعاد النظر فيه، فيتوقف عند فضوله توقف من يكون وزن طمعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب".[٣]

أسباب اختيار الموضوع:

١-منزلة جدال المعتزلة في الذود عن حياض الأمة.

٢-ترأس الجاحظ لفرقة من فرق المعتزلة الكلامية، وهي فرقة (الجاحظية)

٣-الرغبة في تحديد معالم التفاعل بين الحجاج السياسي عند الجاحظ، ومعارف عصره.

أهداف الدراسة:

١-التعرف على الموقف الفكري للجاحظ من الخلاف السياسي حول إمامة الخلفاء الراشدين.

٢-استعراض أساليب الحجاج العقلي عند الجاحظ في رسالة (جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية).

٣-الوقوف على بنية الحجاج السياسي عند الجاحظ في الرسالة.

٤-تحديد مضامين الحجاج السياسي عند الجاحظ.

إشكالية الدراسة وفروضها:

تفترض الدراسة وجود آليات، ومضامين حجاجية تعزز الموقف السياسي للجاحظ في رسالة (جمل جوابات العثمانية)، **وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:**

- كيف تصنف رسالة الجاحظ (جمل جوابات العثمانية) من حيث التجنيس؟
- ما معالم الحجاج السياسي عند الجاحظ؟
- ما مضامين الحجاج السياسي عند الجاحظ؟
- ما المعارف التي تتعالق مع الحجاج السياسي عند الجاحظ؟

منهج الدراسة وتبويبها:

تؤسس الدراسة بنيانها وفق منهج وصفي يقوم على التحليل، والاستقراء، وتتبع معالم الحجاج السياسي في رسالة الجاحظ، وتحديد استراتيجياته، والمضامين التي يرمي إليها من خلال حجاجه.

وبوبت الدراسة تبعًا لذلك في تمهيد، ومبحثين:

تناولت في التمهيد: مصطلحات العنوان، فاحتوى على مطلبين؛ حيث عرفت في الأول برسالة الجاحظ، وتصنيفها. وتناولت في الآخر فرقة العثمانية التي قام على طروحاتها بنيان هذه الرسالة.

وتناولت في المبحث الأول المقاربة الحجاجية في رسالة الجاحظ من حيث طبيعتها، وهيكلها البنائي، ثم تتبعت في الثاني أبرز مضامين الحجاج السياسي، والمعارف المعاصرة له التي تعالقت مع حجاجه خلال القرن الثاني الهجري.

الدراسات السابقة:

وقفت الباحثة على عدد من دراسات الحجاج عند الجاحظ في رسائله ذات الصلة بالموضوع، ومن ذلك:

١-دراسة الحجاج عند الجاحظ بحث في المرجعيات والنصيات والآليات:

وهي بحث منشور في مجلة الآداب بجامعة الكويت، للباحث هيثم سرحان، سعى الباحث إلى الكشف عن تجليات الحجاج السرديّ عند الجاحظ بالوقوف على مرجعياته وآلياته، من خلال استقراء النماذج المختارة. وخلص إلى تنوع أساليب الخطاب الحجاجي عند الجاحظ بتنوع المقاصد، والمقامات. والتماس الجاحظ وسائل بنائية، وبرهانية تهدف إلى استمالة الأفراد، والجماعات إلى أفكاره، والتصدي لمناوئي الثقافة العربية من الشعوبيين والمعارضين للخلافة العباسية في عصره.[٤]

٢-دراسة تقنيات الحجاج عند الجاحظ: كتاب (العثمانية) أنموذجًا:

وهي بحث منشور في مجلة التراث العربي للباحث نور الهدى حناوي، سعى الباحث فيه إلى تقديم دراسة تطبيقية لغوية لحجاج الجاحظ من خلال تتبع التقنيات اللغوية في رسالة (العثمانية)، وخلصت الدراسة إلى أن حجاج الجاحظ اعتمد أساليب لغوية بين النفي والاستفهام والشرط، وأخرى بلاغية بين استعارة وتمثيل ووصل، وقسمت حججه بناء على ذلك إلى ستة أنواع: تبرير، واتجاه، وتواجدية، ورمزية، ومثل، واستشهاد.[٥]

٣-دراسة الجاحظ والإمامة: إشكالية الإسقاط وآلية التأويل:

وهي بحث منشور للباحثين: علي السواعير ونزيه أعلاوي في دورية كان، سعى الباحثان إلى الكشف عن رأي الجاحظ في الإمامة من خلال استعراض الفرق الدينية، واستقراء واقع الإمامة عند الأمويين والعباسيين. وخلص

البحث إلى أن ولاء الجاحظ العباسي، ودوافعه الشخصية، وجهت رؤيته للإمامة؛ لذلك تبنى مواقفهم من معاداة الدولة الأموية وخلفائها، وهو ما انعكس -كما يذهب الباحثان-على آرائه الفكرية [٦].

٤-دراسة الروابط والعوامل الحجاجية في رسائل الجاحظ:

وهي رسالة ماجستير غير مطبوعة للباحث بوقار عبد السلام، تناولت الدراسة تراث الجاحظ في كتاب الرسائل من منظور الدرس التداولي، ونظرية الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر، فبحث في الروابط والعوامل الحجاجية داخل الرسائل، وخلص إلى تنوعها من روابط للتعارض، والإبطال، والإضراب، والانتقال من غرض إلى غرض، وعوامل حجاجية للتوجيه، وأخرى للتوكيد.[٧]

وتأتي هذه الدراسة؛ لاستكمال الجهد المبذول في تلك الدراسات، بالبحث في معالم الحجاج السياسي عند الجاحظ كجنس أدبي من حيث الأصول، والمعالم، والاستراتيجيات والتعالق مع العلوم المعاصرة للجاحظ.

التمهيد:

قدم عبد السلام هارون -رحمه الله-لكتاب الجاحظ (العثمانية) في مطلع التحقيق بقوله: "صوغ كريم للجاحظ، ومتاع لدارس المسائل الدينية، والقضايا التاريخية والسياسية التي تجمعت في فجر الإسلام، وأوائل الدولة الإسلامية"[٨]

فالكتاب في أصله رسالة من رسائل الجاحظ كتبها في فرقة العثمانية تحت عنوان: (جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية) وهو عنوان -كما يقول هارون-وجد على غلاف النسخة المحفوظة في مكتبة (كوبرلي) في إسطنبول؛ اعتمادًا على عبارة وجدت في نهاية الرسالة: "هذه جمل جوابات العثمانية لجمل مسائل الرافضة والزيدية) ولولا أن فيما قدمنا غنى عما أخرنا لقد فسرنا كما أجملنا".[٩] غير أنه اشتهر باسم (العثمانية) مما أحدث لبسًا عند بعض الدارسين؛ ومنهم محقق الكتاب الذي اعتمدت نسخته في الدراسة أبو الفضل القونوي في أن المراد (الدولة العثمانية) التي حكمت العالم الإسلامي في قرون متأخرة. ولعل هذا النهج في التسمية الذي التزمه المحقق هارون عبد السلام -رحمه الله-حين أثبت العنوان المختصر على غلاف الكتاب قد سبقه إليه عدد من المؤرخين، ومن ذلك أن المسعودي في مروج الذهب يقول في معرض حديثه عن الجاحظ: "ثم لم يرضَ بهذا الكتاب المترجم بكتاب العثمانية حتى أعقبه بتصنيف كتاب آخر في إمامة المروانيّة، وأقوال شيعتهم".[١٠]

أنشأ الجاحظ هذه الرسالة في الأصل؛ لمناقشة الإمامة في عهد الخلفاء الراشدين، فقام فيها مدافعًا عن أبي بكر، وعمر، وعثمان في وجه الأكاذيب، والتأويلات الشيعية من رافضة وزيدية، مفندًا إياها بالحجج العقلية، والنقلية ردًّا على الفتنة التي ترتبت عليها.

ولعل التساؤل المطروح في طور تحديد مصطلحات الدراسة: عن مشروعية تسمية الحجاج في الرسالة بالحجاج السياسي؟! فهل تمثل الإمامة هنا خطابًا دينيًّا اجتماعيًّا أم حجاجًا سياسيًّا في مصنف الجاحظ هذا؟

في البداية لا بد أن نتوقف عند تجنيس الخطاب هنا وضوابطه، فالخطاب السياسي خطابٌ يعالج التنظيم السياسي للجماعة ويتعلق بالحياة العامة وشؤون الرعية، فهو "متعدد الأصوات والمقامات، معقد البنية، عميق الأثر في الناس".[١١]

وبالنظر إلى مكونات الخطاب في (جمل جوابات العثمانية) تبرز الإمامة كقضية محورية تتسم معالجتها بتعدد الأصوات من خلال الخطاب التناظري بين:

مرسل ⟵ مستقبل

يكون الثاني حاضرًا في ذهن الأول، إما بصورة مباشرة عينية، أو بصورة غير مباشرة ذهنية، وفي كلتا الحالتين تتجسد حركية الخطاب بين قطبي الرسالة اختلافًا أو إقناعًا من خلال اللغة التي توظف هنا كأداة سياسية؛ لأن "امتلاك السياسي لناصية اللغة يقوي أسباب السلطة، والسيطرة، والتحكم لديه، ولمن يمثله؛ فيدفع الجماهير (المتلقي) إلى التفاعل الإيجابي مع خطة السياسي بإثارة الشعور بالانتماء، أو الحماسة، أو الغضب".(١٢)؛ فاللغة في الحجاج السياسي لغة غامضة تقنيًا. ويذهب الدارسون إلى أهمية هذا الغموض الذي يستوجب التأويل وفق محتوى الرسالة، وشفرتها. وهو ما يسهم في جعل الخطاب منفتحًا على القراءات المتنوعة، والتأويلات المشروعة.

وعلى ذلك، فإن مقاربة الحجاج وفق الخطاب السياسي -هنا- يتناول بالدرس والتحليل نموذجًا لحجاج الفرق الإسلامية عند جمهور من المتكلمين (العثمانية -الشيعة من رافضة وزيدية)، التي كانت الإمامة الحاكمة هي لب صراعهم الفكري، والعقدي، والمادي.

إن دور الجاحظ في إدارة هذا الحجاج والإقناع في رسالته جزء من ذلك الفن الكلامي الذي يعد مرآة لنزعته الكلامية التي تتسم بالجدل، والحوار خلف عقلية تستقضي المعالجة، وتتحرى العلل، والأسباب، وتركن إلى البراهين، والحجج المتوالية؛ للوصول إلى أهدافه؛ لأن نزعته الكلامية هذه "طريقة متميزة في التفكير والتعبير، مترتبة على كونه متكلمًا ومعتزلًا، قد استمد من الكلام الجدلي السفسطائي، ومن الاعتزال العقلي الأرسطي، أساليب نظره إلى الواقع وتفهمه، وكذا طريقة التعبير عنه على هذا النحو الذي انتقاه"(١٣).

وخطاب الرسالة (العثمانية) خطاب عامر بتوظيف الاستراتيجيات الإقناعية المتنوعة، فمن خلال استقراء الرسالة يبرز الخطاب السياسي هنا خطابًا تقويميًّا يهدف صاحبه إلى أمرين: أولهما الإقناع بالهدف، والآخر استعراض الحجج التي يعرضها على خصمه. والجاحظ في ذلك كله يستبق ادعاءات خصومه من الشيعة، ثم يدحضها مستعينًا بسعة اطلاعه، وثقافته الموسوعية، وموظفًا تقنيات مختلفة بحيث برزت في رسالته المبادئ الثلاثة للخطاب الحجاجي عند شارودو(charadeau)(١٤).

١- مبدأ الغيرية: فالجاحظ يمثل العثمانية كمتكلم متلفظ، ويقابلهم المخاطب من الشيعة (زيدية- رافضة).
٢- مبدأ التأثير: حيث يقترن ملفوظه بوظيفة تأثيرية في خصومه، ومن يؤمن بأفكاره.
٣- مبدأ السيطرة: ممثلًا في امتلاكه سلطتي اللغة، والحقائق التي يعرضها على خصومه، فيمتلك زمام المبادرة والتصرف فيها.

ويستقيم الحجاج في رسالة الجاحظ هذه على الثوابت المنهجية للحجاج من وجود مُدَّعٍ ومُدّعى عليه، ووجود دعاوى اعتراض يسوقها الجاحظ في وجه خصومه مع ارتهان بيّن للأدلة من وقائع، وشواهد، ووثائق، وأحوال عقلية، ونقلية بعيدًا عن التعصب، والعنف. ولعل من الإنصاف له أن يتلمس الباحث صدقًا في عاطفته لوحدة المسلمين، وجمع الكلمة، وإسداء النصيحة في رسالته، مع قصدية للحقيقة، بعيدًا عن التناقض، بل إن أبرز الثوابت التي يمكن تلمسها في الرسالة موقفه من الصحابة، خاصة أن الرسالة في أصلها عرض لموقف العثمانية (أنصار أبي بكر وعثمان) -رضي الله عنهما- من الشيعة (أنصار علي) -رضي الله عنه-. ويصرح بهذا الموقف قائلًا: "وإنما ينبغي أن يقضي بين أصحاب محمد -عليه الصلاة والسلام- من قد عرف أمورهم في جميع متقبلهم؛ لأنه غير مأمون على المتكلم إذا قل سماعه أن يخرجه الجهل إلى استصغار بعضهم أو(تضليله) والبراءة منه، فيهلك هلاك الدنيا والآخرة".(١٥) ويقول في موطن آخر مستحضرًا فضل الصحابة، وعلو كعبهم في الحكمة: "وهكذا تدبير الخلفاء، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ولو كانوا إذا لم يفهموا من الأئمة، لم يعترضوا عليهم، ولم يخطئوهم، ولم يجهّلوهم كان أيسر"(١٦).

فتحرز الجاحظ في كلامه حول الصحابة -رضوان الله عليهم- منهج متزن سواءً التزم به في كتبه كلها أو بعضها، وهو ما أشار إلى تفاوته عدد من الدارسين، وربطوا ذلك بولائه للدولة العباسية.[١٧]

غير أن حرص الجاحظ على هذه الثوابت حرص يتآزر مع وصيته للكتاب المنصفين، كما يقول: "أعلم أن واضع الكتاب لا يكون من الخصوم عدلًا، ولأهل النظر مَألفًا حتى يبلغ من شدة الاستقصاء لخصمه مثل الذي يبلغ لنفسه، حتى لو لم يقرأ القارئ من كتابه إلا مقالة خصمه لخيل له أنه الذي اجتباه لنفسه، واختاره لدينه، ولولا اتكالي على انقطاع الباطل على مدى الحق، وإن استقصيته وبلغت غايته، ما استجزت حكايته، وقمت مقام صاحبه."[١٨]

العثمانية:

هي فرقة دينية تشيعت لعثمان بن عفان -رضي الله عنه- بعد مقتله، وغالوا في تقديمه على علي بن أبي طالب، بل جاوز بعضهم الحد في سبه -رضي الله عنه- بصورة أنكرها عليهم عدد من العلماء كابن حجر العسقلاني في فتح الباري؛ حيث انتقد مقالتهم، وانتقاصهم من قدر علي بن أبي طالب والنيل منه.[١٩] وذكر الذهبي في (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) أن منهم من كان يصنع الأخبار لبني أمية كعوانة بني الحكم الإخباري، وأن المغيرة الطبي الكوفي عثماني متحامل على علي بن أبي طالب[٢٠]. وأيّان تكن الآراء حولهم، فهم فرقة خالفت جمهور السنة والجماعة الذين لم يتشيعوا لصحابي على حساب آخر، أو رأي على آخر وفق أهوائهم.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ذلك بشيء من التفصيل، إذ قال فيه: "لكن شيعة عثمان-الذين كان منهم انحراف عن عليّ-كان كثير منهم يعتقد أن الله إذا استخلف خليفة تقبل منه الحسنات، ويتجاوز له عن السيئات، وأنه يجب طاعته في كل ما يأمر به، وهو مذهب كثير من شيوخ الشيعة العثمانية وعلمائها".[٢١]

ويشير إلى مذهبهم في الطاعة المطلقة من دون القول بالعصمة، وإنما عدم المؤاخذة على الذنب، ثم يوضح مبدأ المخالفة مع أهل السنة والجماعة في سنة علي-رضي الله عنه-على المنابر، وتأخير الصلاة عن وقتها. وحين يقارن بين شيعة عثمان في أقوالهم وآرائهم، يشير إلى تفوق شيعة عليّ على شيعة عثمان في التكفير والسباب، وكلتا الفرقتين تخالفان مذهب أهل السنة والجماعة.[٢٢]

ويمكن اختصار معالم المقارنة التي أوردها في كتابه في الجدول الآتي:

المعيار	شيعة عثمان	شيعة علي
البدع	سبّ عليّ على المنابر دون تكفيره ولا تكفير أتباعه.	سب عثمان وعدد من الصحابة وتكفيرهم ولعنهم.
قتال الكفار	تقاتل الكفار.	لا تقاتل الكفار.
الزندقة والردة	ليس منها زنديق ولا مرتد.	فيها عدد لا يحصى من الزنادقة والمرتدين.
الموالاة للكفار	لم توال الكفار.	يوالون اليهود، والنصارى، والمشركين على قتال المسلمين.
ادعاء الألوهية	ليس فيهم من يدعي الألوهية ولا النبوءة.	كثير منهم مدعي للنبوءة والألوهية.
العصمة	لا يقولون بعصمة عثمان لا نصًّا، ولا نقلًا.	يرون بأنه منصوص على عصمة عليّ.
الموقف من أبي بكر وعمر	تتفق على تفضيلهما على عثمان.	الشيعة المتأخرون يذمومهما ويسبوهما، وكثير منهم يكفرونهما، بل إن كثيرًا من الزيدية يلعنوهما -رضي الله عنهما-.
وقت الصلاة	منهم من يؤخرها عن وقتها، وخاصة (الظهر-والعصر).	منهم من هو عظيم التعطيل للصلاة، بل ولشرائع أخرى. ولا يصلون الجمعة، ولا الجماعة. ولهم في تقديم العصر والعشاء، وتأخير المغرب مذهب منحرف.

جدول(١) مقارنة ابن تيمية بين العثمانية والشيعة

ويصل ابن تيمية في نهاية مقارنته إلى الإقرار بأن: "الشر والفساد الذي في شيعة عليّ أضعاف الشر والفساد في شيعة عثمان، والخير والصلاح في شيعة عثمان أضعاف الخير الذي في شيعة علي".[٢٣]

ولعل هذا ما يجعلنا نرجح توافق الجاحظ في هذه الرسالة مع كثير من أطروحات العثمانية، وتعليقه على بعضها مما لم يكن مقنعًا له أمام الأدلة النقلية والعقلية.

المبحث الأول

المقاربة الحجاجية في كتاب (جمل جوابات العثمانية)

تعتمد قيمة هذه المقاربة البلاغية السياسية على السياق، والمقام الذي تسير فيه العملية الحجاجية، والمتمثلة في سياق التنازع، والجدل بِعَدِّهَا عمليات تواصلية بين مرسل ومستقبل.[٢٤] فهي وفق هذا الإطار تغذي معاني التفاعل، والمشاركة، وتعدد الأصوات، والآراء في ظل صعوبة تحديد مفهوم دقيق للحجاج، بِعَدِّهِ مفهومًا ملتبسًا.[٢٥]؛ نظرًا لتعدد مظاهره، وتنوع استعمالاته ومرجعياته، ولا سيما أنه كنظرية ما زال في إطار التشكل لأطره وخصائصها، فهو خطاب "يكتسب معناه، ووظائفه من السياق الذي يرد فيه، ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يندمج في استراتيجياته الفردية والجماعية".[٢٦]

والجاحظ في رسالته (جمل جوابات العثمانية) يبدع في الاستنباط والاستدلال لحججه، فلا يكتفي بدليل واحد، بل قد تطول قائم الأدلة التي يحتج بها في الأطروحة الواحدة إلى عشرات الأدلة في سياق واحد، وهو ما يسهل على الباحث عملية تصنيفه في كونه استدلالًا حجاجيًّا لابرهانيًّا، فبينما يكتفي الاستدلال البرهاني بدليل واحد لتكون النتيجة مقبولة نفيًّا أو إثباتًا؛ فإن الاستدلال الحجاجي تتعدد حججه، وهو ما نتلمسه بينًّا في حجاج هذه الرسالة. كما أنه ينهض هنا على مواضيع من القيم، والعلاقات المتسمة بطبيعة ظنية عند المتلقي، بحيث يقبل بها من يتلمس خطابًا عقلانيًّا وفق مرجعية ثقافية معتدلة تؤمن بالإقناع. ويرفضه فريق من أصحاب المرجعيات العقدية والكلامية تبعًا لموقفهم من علوم أصول الدين، وأصول الفقه. علاوة على أن الحجاج الاستدلالي هنا يرد ضمنيًّا من خلال حيز التفكير الذي يتيحه للمتلقي؛ لينطلق به في مجال نسبي للحقيقة خلافًا للحجاج البرهاني الذي يستند على قوانين عامة تفرض سلطتها على الآخرين.

لقد استعرض الجاحظ في رسالته ستًا وأربعين أطروحة حجاجية، منها سبع أطروحات مضادة نشأت كردود فعل على آخر، وتولد عن بعضها أطروحات جديدة تختلف عنها في الاتجاه، وتتفق معها في الموضوع؛ ففي دعوى الشيعة القائمة على أن إسلام عليّ اختيار منه لا تلقينًا لحداثة سنه، يحتجون بـ:

١- أن الدعوة عرض، والاستجابة اختيار، فاستجابته اختيارًا وقناعة.

٢- إجماع الأمة على أن عليًّا كان أول من أسلم، وعكس الإسلام كفر، وهما أمران يخضعان لاستجابة النفس وإعراضها.

فيرد الجاحظ ردًّا يظهر الموافقة على الدعوى ابتداء، ويجعل منها منطلقًا لتوكيد نقيضها، فيرى بأن إسلام علي بتلك الهيئة -إن ثبت-يجعل من إسلام زيد بن حارثة، وخباب بن الأرت فضيلة تعلو فضيلة إسلام عليّ مستدلًا بأمور، منها:

١- أن لعلي بن أبي طالب ظهرًا، وهو أبوه (أبو طالب)، خلاف زيد وخباب فلا ظهر لهما.

٢- يفاعة أعمارهما وفضل علمهما على عليّ تناسبًا مع حداثة سنه.

٣- أنهما عاصرا الكفر، فأتيا طيعين بعد أن غيرا دينهما قناعة ويقينًا.

٤- أن عليًا فتح عينيه على الإسلام لا الكفر بعيدًا عن مكابدة العادة والتغرير به.

وبعد أن يقلب الدعوى إلى نقيضها ينشئ دعوى جديدة ترتبط بالدعوى المضادة تدخل زيد وخباب في مقارنة مع أبي بكر، الذي ينتصر له في سياق عام يغلف الدعوى ابتداءً، وهو سياق المفاضلة بين أبي بكر وعلي-رضي الله عنهما-ويستدل في هذه الأفضلية بجملة حجج، منها:

١- أن أبا بكر أكثر شهرة من زيد، وخباب وفق ما أصاب من علم، ومال، وجاه.

٢- أن أبا بكر أكثر الصحابة ابتلاءً في دينه.

٣- كثرة من أسلم على يد أبي بكر، واعتق مقارنة بغيره من الصحابة.
٤- جود أبي بكر، وكرمه من حر ماله لا منًّا ولا أذى.

ونماذج هذه الدعاوى المتضادة أو المتولدة عن بعضها كثيرة في الرسالة يعجز المقام عن إيرادها، ويمكن إجمال دعاوى الشيعة الستة والأربعين في المحاور الآتية:

١- المفاضلة بين إسلام أبي بكر وعلي، وما تبعها من مفاضلة بين شخصيهما مع تعدد المواقف وسياقاتها.
٢- تفوق علي في الفروسية، والصبر، وتحمل المعاناة مقارنة بأبي بكر.
٣- إثبات القداسة لعلي، وذم من لا يقرّ بها.
٤- فقه علي بن أبي طالب وفتواه.
٥- الركون لشهادة الرسول -عليه الصلاة والسلام-على منزلة عليّ منه بمنزلة هارون من موسى.
٦- النيل من شخص أبي بكر، والتحقير من حكمه، وموقف الصحابة منه.
٧- التشكيك في إسلام أبي بكر، وتكذيب فضيلته.
٨- وجود الفاضل والمفضول في الصحابة، وجهل العامة بذلك.
٩- ربط الإمامة بالدين، والحسب، والحميّة، وتفاوت الخلفاء في ذلك.
١٠-دلالة ترشيح أبي بكر لغيره من الصحابة للخلافة في الحقيقة.
١١-الانتصار لعلي بأحاديث، وروايات، وتأويلات لا أساس لها.

وهي محاور مثلت عند الجاحظ مرآة لمعتقده، ونزعته الكلامية الجدلية التي عكست للمتلقي عقلية منفتحة على العلوم، تستقصي الدعوى، وتتحرى البحث في العلل والأسباب، مع عناية بالاستدلال العقلي، والنقلي وفق ثقافة موسوعية.

إن تنوع مصادر ثقافة المحاجج السياسي من الأمور التي عني بها الجاحظ، وجلاها في رسالته في أكثر من مقام من معرفة بعلوم القرآن وتفسيره[٢٧]، وأسباب النزول[٢٨]، والناسخ والمنسوخ[٢٩]، ومعرفة متشابه القرآن[٣٠]، والتاريخ ووقائع الأيام[٣١]، والمعرفة بأصول الدين[٣٢] وعلم الأنساب[٣٣]، وعلم الجرح والتعديل[٣٤]، والمعرفة بالبلاغة[٣٥]، ولسان العرب[٣٦]، وأشعار العرب[٣٧]، إضافة إلى علوم الاعتزال ونظرياته التي وظفها في حجاجه كالتعديل والتحوير[٣٨]، ومعرفة الفاضل والمفضول[٣٩]، والجبر[٤٠]، والمعرفة بالفرق الدينية[٤١]، والإلمام بعلوم المعرفة وأبوابها[٤٢].

طبيعة الحجاج السياسي عند الجاحظ:

وظف الجاحظ الحجاج في رسالته للوصول إلى نتائج نسجها مستخدمًا تسلسلًا خاصًا يشتمل على روابط وعوامل حجاجية. ولعل أبرز المستويات التي قامت عليها تراتبية الحجاج في الرسالة هو مستوى الحركات، وهو المستوى الذي يعني بتنامي الحجج للوصول إلى النتيجة.[٤٣]

كما تعامل مع حججه في الرسالة بعدّها صناعة فنية تخاطبية مع الآخر؛ فاستثمر أدواته البلاغية من سبك العبارة، وحسن صياغتها، واستحضار الأدلة النقلية، وتوظيف الإشارات، والتمثيل، والاستعارة. وغلَّف ذلك بنظرة عقلية فاحصة، وكان اجتهاده في الرسالة واضح المقاصد لكل طالب للحقيقة في وقت التبست فيه الأمور؛ فذاد عن الخلفاء الراشدين قدر استطاعته، ولما كان ذلك جهد بشري يحتمل الإصابة والخطأ، فقد أخذ عليه بعض الدارسين شططه في بعض المواقف.[٤٤]، خاصة حين يحيل الملامة على علي بن أبي طالب في معتقد مؤيديه ممن دخل معهم في حجاج. ولعل ذلك يتضح لدارس رسالته في مقامين: أولهما: حين يتعمد الترحم على عليّ بن أبي طالب لا الترضي عليه

في أكثر من مقام، مخالفًا المشهور من الدعاء للخلفاء الراشدين، نحو قوله عنه في معرض حديثه عن صفات القائد المحنك: "ولم نرد بهذا الكلام تنقص علي -رحمه الله-ولا إخراجه من الفناء واحتمال المكروه"(٤٥) ثم كُررت هذه الدعوة في الرسالة في أكثر من مقام، منها:

- "وفي الآثار أن عليًا -رحمة الله عليه-استشهد وعنده تسع عشرة سرية."(٤٦)

-و"ذهبوا إلى أن عليًا -رحمة الله عليه- ربما كانت له الحاجة إلى النبي".(٤٧)

وثاني المقامات: يتجلى في إسقاط أفعال شيعة علي -رضي الله عنه-على شخصه.(٤٨) ليستحيل النقد عليه، لا على أصحاب الدعاوى الضالة والأفكار المنحرفة، ومن ذلك أن الجاحظ حين رد على دعوى الشيعة بأن عليًا أفقه من أبي بكر، وأعلم بالحلال والحرام؛ استنادًا إلى كثرة مروياته من الأحاديث. استعرض فتاوى لأبي بكر وأخرى لعلي -رضي الله عنهما - فانتصر لأبي بكر في علو كعبه فهمًا وإصابة، مذكرًا بجملة من الفتاوى التي تراجع عنها علي بن أبي طالب بعد أن ثبت له فساد رأيه فيها.(٤٩)

وموقف الجاحظ هذا موقف متذبذب في رسائله السياسية حول موضوع الإمامة، يعزز ما ذهبنا إليه من أنه في الأصل ناقم على شيعة علي، وما أحدثوه في الأمة من فرقة وشقاق. ففي رسالة (فضل هاشم على عبد شمس) يثني الجاحظ على عليّ بن أبي طالب، وعلى كريم منشئه، وشرف إمامته، وسعة علمه، وفصاحة بيانه.(٥٠) وكذا الحال في رسالته (الحكمين)؛ حيث أثنى على أعمال علي وصوّب مواقفه في النزاع.(٥١)

وما يعنينا هنا هو خطاب الرسالة الذي جاء متماسكًا، صيغ في لغة قوية، ونظم محكم، ونباهة ظاهرة، مستخدمًا أسلوب (التجريد) في طرح كثير من رؤاه، حتى تجانست أفعال الخطاب في رسالته بين:

١-أفعال إقناعية: وظف فيها الجاحظ حججه، وبراهينه، وشواهده، ووقائعه لإقناع خصمه.

٢-أفعال إقرارية: ضمنها مسلماته، وبنى فيها أفكاره ومعتقداته.

٣-أفعال إبطالية: تصدى فيها لحجج خصومه، فهدم بنيانها، وأبطل صروحها، سلاحه في ذلك حقائق، ومواقف، وأدلة.

هيكل الحجاج السياسي عند الجاحظ:

ارتبطت بنية الحجاج السياسيّ عند الجاحظ بعلم الكلام الإسلامي، الذي زادت العناية به مع بزوغ الدرس الحجاجي المعاصر؛ حيث "برزت القيمة الاستثنائية التي كانت تمثلها مجالس المناظرة العربية القديمة، وأهمية الإسهام العربي الإسلامي في التنظير، والتقعيد لطرائق الجدل، وأساليب المباحثة".(٥٢)،فأصبح الحجاج السياسي واقعًا فرضته طبيعة السياقات التاريخية، والفكرية التي عصفت بالثقافة العربية والإسلامية بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ونتج عنها صراعات مذهبية وفكرية، وضغائن سياسية وعرقية خاصة بعد التمازج مع الحضارات المجاورة. ثم تغذت هذه السياقات من وجود فجوات فكرية، وخلافات مذهبية اقتضت من علماء الأمة، وفقهائها النزول إلى ساحات الجدال والمناظرة التي نهضت على ثلاثة أفعال كلامية أساسية هي:

"عرض الدعوى ويسمى الإدعاء، وعرض دليل على الدعوى ويسمى التدليل أو الإثبات، واعتراض على هذه الدعوى ويطلق عليه المنع"(٥٣).

واتخذ الجاحظ من (العثمانية)، كفرقة دينية تقف في عداء مع الشيعة، ستارًا لكثير من أفكاره التي يؤمن بها في موضوع الإمامة، فكان يتفق مع أطروحاتهم باستثناء بعض المواقف التي سجل فيها تصويبًا أو تخصيصًا لبعض آرائهم؛ لذلك كان يستهل أطروحاتهم الحجاجية بعبارة (زعمت العثمانية)، أو (قالت العثمانية). ولنتأمل النموذج الآتي في خطاب الأطروحة:

"قالت العثمانية إن قالت الشيع: إن الأمور ليس كما حكيتم، (المتكلم+ المخاطب)

ولا كما هي أتموها المتكلم لأنفسكم، بل نزعم أنه قد كانت هناك طلب الدعوى في أيام صباه وحداثته فضيلة فطنة، ومزية ذكاء، ولم يبلغ الأمر قدر الأعجوبة والآية. قلنا: إن الذي ذهبتم إليه (خطاب موجه)

لابد فيه من أحد وجهين: إما أن يكون قد كان لا يزال يوجد في الصبيان مثله في الفطنة والذكاء. وإن كانت حاله هذه الحال، (خطاب مقوّم) وطبيعته على هذا المثال، فإنا لم نجد صبيًا قط...وإن أفرط كيسه وحسنت فطنته، يحتمل ولاية الله وعداوته...، ولو كان الأمر على ما يقولون لكانت في ذلك حجة للرسول في رسالته، (خطاب بان)

ولعلي في إمامته والآية إذا كانت للرسول، وخليفة الرسول كان أشهر لها... ولا يجوز أن يكون الله قد عرف أهل عصرهما ذلك، وهم الشهداء (خطاب هادم)

على من بعدهم من القرون التي يسقط حجته، فلا تخلو تلك الحجة، وتلك الشهادة من ضربين: إما أن تكون ضاعت وضلت، وإما أن تكون قد قامت وظهرت".(٥٤)

فالأطروحة السابقة خطاب موجه للمتلقي، يثير عقله؛ ليتدرج في قبول الحجة وتقويمها أولًا، ثم نقضها، والإنشاء على أنقاضها خطابًا إقناعيًّا جديدًا. وكأننا بالجاحظ ك (متكلم) يستعرض الدعوى، فيقلبها على كلّ وجوهها المحتملة موهمًا المتلقي باقتناعه بها، ثم لا يلبث أن ينفيها ليجعل من المتلقي شريكًا في الحوار العقلي الذي يجسد سلوك الخصم، ويستميل ذوق المتلقي. وحين يورد الجاحظ دعوى الشيعة حول معارضة الصحابي (سلمان الفارسي) -رضي الله عنه-إمامة أبي بكر من خلال مناقشة مقولته الفارسية، ينقلب عليها بالنفي مرتكزًا على عدد من الحجج التي تكشف عن غوص في الأعماق، وسبر للأغوار، وكشف لعيوب القول والكلام، فيفاجئنا بأكثر من عشر حجج عقلية، وسياقات لغوية، تبطل حجج خصومه؛ لذلك أتت الرسالة في مجملها؛ تقييمًا لمسائل خلاف العثمانية التي أثاروها في جدالهم مع الشيعة الزيدية.

الاستراتيجية الحجاجية في كتاب العثمانية:

صاغ الجاحظ حجاجه في قوالب تعددت وجوهها، وآلياتها بحسب طبيعة الخطاب الذي سيقت فيه، وهو ما انعكس على بناء حجاجه السياسي الذي يمكن تصوره فيما يأتي:

أولًا: يبني الجاحظ حجاجه مستعرضًا أطروحته المدحوضة فالمدعومة، متدرّجًا في عرضها من الأضعف إلى الأقوى، والعكس، موظفًا للتقنيات اللغوية من أمر، ودعاء، وحض، والتماس، ونفي، واستفهام داخل نصوصه. وقد يعمد إلى التعليق على أطروحته، وعرضها ابتداءً، ثم يخضعها للتمحيص، والمقابلة بآراء خصومه.

ثانيًا: لم يستطع الجاحظ التخلص من الاستطراد في حجاجه السياسي كسمة أسلوبية في آثاره، فينطلق في حجته نفيًا أو إثباتًا، ثم يقطع حديثة؛ لاستعراض حادثة أو ظاهرة عارضة؛ ليفصّل الحديث فيها، ثم يعود بنا إلى إكمال حجاجه الرئيس، وبناء صورته الذهنية للمتلقي.(٥٥)

لتسير الحجة وفق الخطاطة الآتية:

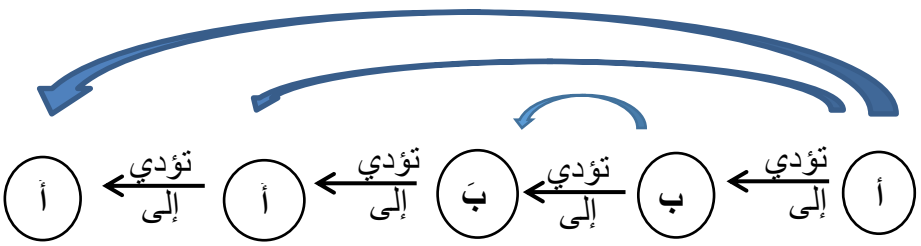

فـ (أ) الحجة الأولى، و(ب) الحجة الثانية، ومسار الاستطراد في الشكل السابق يستوجب بسط الكلام والإطناب وفق مقام الحجاج، والمتلقي له. ومن ذلك حجاجه حول مقولة الصحابي سلمان الفارسي - رضي الله عنه- عند تولي أبي بكر خلافة المسلمين، وما أعقب ذلك من بسط في الحجاج حول القائل، ومقولته، وهيئة القول بصورة تتناسب مع المقام والمقال.(٥٦)

ثالثًا: يبرز الحجاج العقلي في خطاب الجاحظ السياسي متفوقًا على حجاجه النقلي، فمن خلال الوقوف على أكثر من مائتين وأربع وعشرين آلية حجاجية بنى الجاحظ عليها رسالته؛ بلغت الحجج العقلية مائة وخمس وثلاثين آلية تنوعت بين الاستقراء، والمقارنة، والقياس، والشرط والافتراض، والتوصيف إضافة إلى التفسير، والتأويل، والحوار. في حين بلغت الحجج النقلية في الرسالة حوالي تسع وثمانين آلية حجاجية توزعت بين السرد، والاستشهاد بالشواهد والوثائق التاريخية، والوقائع، والاستدلال بالسلطة. ويمكن تتبع آليات الجاحظ في الرسالة من خلال الجدول الآتي:

نوع الحجاج	آلية الحجاج	النسبة المئوية إلى الحجاج الكلي		آليات الحجاج	النسبة المئوية إلى الحجاج الكلي
النقلي	الاستشهاد بالشواهد	%١٣	النقلي	الاستقراء	٥ %
	الوثائق	%٤,١		المقارنة	%٢,٧
	السرديات	%٢,٧		الانطلاق من المسلمات	%٤
	أدلة السياق	%١,٣		الاستشهاد بالسلوك	%٣,١
	الاستلال بذي السلطان	%٣,١		الاستدلال العقلي	%٢,٢
	الوقائع	%١٨,٣		القياس	%١٠,١
				التوصيف	%٩
				الجدل على الأطروحة ونقيضها	%٧,٦
				الحجة المنطقية	%٢,٢
				توظيف الظروف	%٤,٨
				التأويل والتفسير	%٢,٥
				الحوار	%٢,٢
				التقارض	%٠,٤
المجموع		٤٢,٥			٥٥,٨

جدول (٢) توزيع الآليات الحجاجية في رسالة (جمل جوابات العثمانية)

رابعًا: تنوعت الشواهد بِعَدِّهَا نصوصًا مقتبسة من خارج المسار السياسي للأطروحة بين شواهد دينية ممثلة في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وشواهد أدبية (شعر-وأمثال-وحكم)، لم يدرجها الجاحظ ترسلًا ولا ترصيعًا في خطابه السياسي، وإنما كانت تأكيدًا استدلاليًّا على آرائه، وتعزيزًا توضيحيًّا لحججه؛ لذلك قَلَّ الشاهد الشعري. وتوسع الجاحظ في إدراج الآيات تفسيرًا وتأويلًا، يبحر في عمق الألفاظ والدلالات، فيؤولها بالنقل تارة، وبالعقل أخرى، مما قد يُلجئه إلى التأويل وفق روايات ضعيفة عند الجمهور؛ دعمًا لحجته -والحق أنه قليل في رسالته- ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾(سورة الأحقاف: ١٧).

يقول في تأويل الآية الكريمة: "إن المقصود فيها أبو بكر وابنه عبد الرحمن وأمه".[٥٧] خلاف ما ذهب إليه بعض المفسرين، وهو لبس وقع عند كبار المفسرين في تفسير الآية الكريمة؛ فابن كثير يورد رأي ابن عباس والسديّ في أن الآية نزلت في عبد الله بن أبي بكر، ويذكر أن قتادة والسديّ يذهبان إلى أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، ثم يرجح بعد ذلك أن الآية نزلت مطلقة في كل عاق لوالديه.[٥٨]. وأورد الطبري "أن السيدة عائشة -رضي الله عنها-أنكرت أن تكون نزلت في عبد الرحمن، وكذا قال الحسن وقتادة أيضًا بأنها: نعت عبد كافر عاق لوالديه".[٥٩]

وكثرة استدلال الجاحظ في حجاجه السياسي بالقرآن الكريم ينبي عن سعة علم بأسباب النزول، وتأويله للمتشابه من الآيات. وهو ما يمكن إسقاطه تباعًا على منهجه في الاستدلال بالأحاديث النبوية؛ حيث يرى أن عموم اللفظ لا يقيده إلا خصوص الرواية، وإلا فهو مطلق غير مقيد. وقد وظف هذا المفهوم في حجاجه في نماذج متفرقة، فكان يرجع موطن الخلل في فهم الأحاديث إلى تفاوت فهم الناقلين عن الرواة من السلف، مما شابه الخلط في عموم اللفظ وخصوصه.[٦٠]

فتوظيفه للشواهد الدينية في مقام الحجاج (السياسي= الإمامة) يعلي من حجاج السلطة، ويؤكد دوره في تكوين نوع من التماسك للبنية الداخلية للمخاطبين، واستيعابه لمقتضيات الحرب النفسية، وما تتطلبه من زرع بذور الشك عند الخصم حول الأطروحة. وهو ما يؤكد على تمكن الجاحظ من المبادئ العامة للجدل الفكري الذي "لم يكن عملًا مجانيًّا البتة، بل كان سلاحًا نضاليًّا لبلوغ أغراض دينية ودنيوية معًا".[٦١]

خامسًا: امتلاك الجاحظ ناصية اللغة أسهم في تقوية خطاب الحجاج، وتوجيه أفكار خصومه، ودفع المتلقي إلى التفاعل الإيجابي نحو أطروحاته الحجاجية؛ لخلق بيئة معرفية للمتلقي في كل زمان ومكان. واللافت في لغة الجاحظ في الرسالة المباشرة، والبعد عن الغموض الذي يمتاز به الخطاب السياسي "بل ويعد شرطًا في الخطاب السياسي البرغماتي الذي لا يأمن التقلبات، فيترك دائمًا إمكانيات متعددة للتأويل بتفاديه الوضوح المفرط".[٦٢]

ولعل التعليل المناسب لذلك هو شعور الجاحظ بالمسئولية الأخلاقية؛ لكشف الزيف، والمغالطات التي أحاطت بموضوع الإمامة، وخاصة من قبل الشيعة الذين تشيعوا لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه-؛ حيث كثرة الاختلافات حينئذ، مما حدا بأبي الحسن الأشعري إلى تصنيفها في قسمين: أولهما: الاختلاف في الإمامة، والآخر: الاختلاف في الأصول".[٦٣] ثم حدد الاختلاف في الإمامة بين تيارين: أولهما: يرى الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار، وهو رأي أهل السنة والجماعة، والآخر: يراها تثبت بالنص والتعيين وهو رأي الشيعة. ولعل خطورة شأن الإمامة في تاريخ الفكر الإسلامي، واتساع الخلاف الذي أفضى إلى اختلاف كلمة المسلمين، هو ما جنب الجاحظ الغموض، ومال به نحو المباشرة المفضية إلى خطاب العامة لا الخاصة بعيدًا عن الخطاب المنفتح على التأويلات التي تعمق من عملية التشرذم والانقسام، خاصة أن "النظر في الإمامة ليس من المهمات، وليس أيضًا من المنقولات فيها بل من الفقهيات، ثم إنها مثار للتعصبات، والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض فيها وإن أصاب، فكيف إذا أخطأ".[٦٤]

سادسًا: تدرج بناء الحجج في الرسالة في سلالم حجاجية تدرجًا تراتبيًّا وفق قوة الحجة، وضعفها. وباستقراء نماذج حجاج الجاحظ في الرسالة، يمكن تصنيف بنائها التراتبي في ثلاثة هياكل:

الأول: الحجاج التصاعدي:

وهو الحجاج الذي يرتب فيه المرسل حجاجه من الأضعف إلى الأقوى متدرجًا في إقناعه لخصمه، ومن ذلك دعوى الشيعة أن أبا بكر تخير (عمر بن الخطاب وأبا عبيدة) -رضي الله عنهم- للبيعة بعد خلاف المهاجرين والأنصار، ولولا معرفته بعدم أهليته للإمامة ما فعل ذلك، فتدرج الجاحظ في الاحتجاج لأبي بكر وفق التسلسل الآتي:

ن = أبو بكر أفضل من عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح

ج٦	مذهب على تعظيم أبي بكر وعمر.
ج٥	لو أن أحد هؤلاء الصحابة عقد بيعته لعلي لنقمت الشيعة الأمة بهذه البيعة.
ج٤	لم تحفظ المصادر التاريخية تقديمًا لأبي عبيدة على أبي بكر مطلقًا بل العكس.
ج٣	أن الشخصيتين تحظيان بثقة أبي بكر فيأمن جانبهما ولا يتأمران عليه.
ج٢	إقرار أبي بكر برضاه بالبيعة مخافة فتنة أمة محمد.
ج١	كراهية أبي بكر مطالبة المهاجرين والأنصار مبايعته ليكونوا هم المبادرون.

فالحجج الست تجمع على أفضلية أبي بكر، فرتبها الجاحظ بحيث تظهر كل حجة أقوى من سابقتها؛ ليصل في أعلى هرم الحجج إلى أن علي الذي يتشيعون له عظّم أبا بكر على من سواه، فتنقّل بالمتلقي بين مكانة أبي بكر بين الصحابة حتى وصل أعلى الهرم (علي) -رضي الله عنه-دفعًا لخصومه عن طريق الإذعان المتدرج في المعتقد بحيث ترسخ الدعوى في نفس المتلقي بشكل أعمق؛ فيضعف نفيها.

الثاني: الحجاج التنازلي:

وهو نوع من الحجاج تتدرج فيه الحجج من الأقوى إلى الأضعف بحيث "يكتسي نجاعة حجاجية أكبر عند توجيهه إلى المتلقي الشاك، أو الجاحد الذي لا تنفع معه الحجج الضعيفة في بداية الحجاج".[٦٥] ويمكن تمثل هذا الهيكل في دعوى الشيعة: أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- صاحب حمية، والدليل رفضه تزويج سلمان الفارسي حين خطب ابنته، فيجادلهم الجاحظ في حق عمر ابن الخطاب من خلال الحجج الآتية:

ن = الإقرار بحق عمر بن الخطاب في عدم تزويج ابنته لسلمان الفارسي.

ق٣	من نحل على عمر العصبية واحد من اثنتين: رافضي أو متعرب، ولكل مأربه.
ق٢	رفض علي (رأس المذهب الشيعي) أن تتزوج الحرائر مَنْ هو دونهم في النسب من الموالي.
ق١	إقرار سلمان الفارسي بوصية الرسول -عليه السلام-له بعدم إمامة العرب أو الزواج منهم، وهو ثابت عند عموم الصحابة.

فالجاحظ يسعى إلى إقناع المتلقي ومن خلفه أصحاب تلك الأطروحات من الشيعة موافقة سلوك عمر ابن الخطاب لإجماع علماء الأمة في عدم تزويج غير العرب لبناتهم دون انتقاص لأمر المسلمين من الأجناس الأخرى؛ لذلك تدرج من الحجة القوية (إقرار سلمان بذلك) إلى الحجة الضعيفة في تصنيف أصحاب هذه الحجج إلى رافضي أو متعرب.

الثالث: الحجاج التراكمي:

وهو حجاج تتراكم حججه دون مبدأ واضح للتدرج فيها قوة أو ضعفًا، صعودًا أو نزولًا. ويخضع لمناسبة السياق، والمقام دون إهمال للتماسك اللغوي بين الحجج.(٦٦) ومن نماذج ذلك: زعم الشيعة نزول القرآن في فضل علي بآيات متعددة، فكان ردّ الجاحظ عليهم يتسم بالتداخل بين حججه، فنفي أكاذيبهم ابتداء، ثم أثبتها لخصمهم (أبي بكر) في بناء متعاقب، مع مراعاته لتماسك خطابه عند إيراد حجته.

ن = كذب الشيعة في زعمهم نزول الآيات في علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

ل٤ التعليق على الآيات التي أوردها الشيعة في فضل علي في عشرة نماذج متنوعة.

ل٣ الارتكان إلى الأثر المجمع عليه في كتب السير، والأخبار من ثناء عليّ على أبي بكر.

ل٢ تفسير آيات القرآن، والقياس على معانيها في التفاضل بين علي وأبي بكر.

ل١ أكثر مَنْ أنزلت فيه الآيات القرآنية هو أبو بكر وفق ما أكده المفسرون.

الدعوى: كثرة نزول القرآن في شأن علي يؤكد فضله على أبي بكر.

إن تدرج الجاحظ في ترتيب حججه وفق هياكل مختلفة رفع من فاعلية خطابه بتعدد وجوهه، ومستوياته. ولعله يتوافق في ذلك مع أفكار فيلسوف الخطابة أرسطو الذي كان يرى ضرورة الخلط بين الحجج في السياق التواصلي الواحد بعيدًا عن إقحامها في خطاب انفعالي واحد لا يتوافق مع سياقها الأساسي.(٦٧)

سابعًا: ارتبط الحجاج السياسي عند الجاحظ بالمبدأ الحواري القائم على تعدد الأصوات واختلافها، وتعدد الأجوبة أو ما يعرف بـ (البوليفونية الحجاجية).(٦٨) ففي أطروحة العثمانية حول عدم نيل أحد الإمامة بغير الدين؛ يستهل الجاحظ حجاجه باستعراض رأيهم في رفض أن تكون الإمامة عطية لنسب أو قرابة -في إشارة إلى موقف الشيعة-لينتقل إليه الكلام في موافقة واضحة، وتأييد صريح لهم، ضاربًا الأمثلة بحال الممالك والملوك، والأغنياء والفقراء، ثم يبرز صوته في افتراض الحجة على لسان الخصم: "وليس على هذا بنى القوم أمرهم في القرابة، فلو قالوا إنها سبب للقدر والنباهة في الدنيا كان ذلك وجهًا".(٦٩) ثم يستلم دفة الحجاج من جديد، ويعرض دعوى الخصم عرضًا مباشرًا قبل إنكارها (وليس على هذا)، ثم تفنيدها (وإنما كان لنا) بعد أن يكون قد وظف روابطه الحجاجية وآلياته من: شرط، وجزاء، واستحضار للشواهد من القرآن الكريم، وسير الأنبياء، والقياس على الأحوال.

ثامنًا: يعتمد الجاحظ على عدد من الأدوات الإقناعية اللغوية التي يوظفها كروابط حجاجية في السياق، وتتوزع بين روابط مدرجة في مستهل الحجاج، وأخرى في نتائجه. ويأتي في مقدمة هذه الروابط الشرط بِعَدِّه مؤشرًا لغويًّا على توظيف الاستراتيجية الإقناعية.(٧٠) وباستقراء الرسالة يمكن حصر الأساليب الشرطية فيها على النحو الآتي:

أداة الشرط	إن	لو	إذا	أما	لما	لولا
الجواب	قلنا/قيل	لـ...	فـ...	فـ....	فإن	لكان
العدد	٨٠	٧١	٤٥	٢٨	٢٢	١٠

جدول (٣) الأساليب الشرطية في رسالة (جمل جوابات العثمانية)

فالتراكيب الشرطية هنا تولد الحجج وتعللها، بحيث يكون التعليل معنى مضمّنًا في الجملة الشرطية، ومفسرًا للعلاقة بين الأحداث ونتائجها. ولعل افتراض الجاحظ الحوار على لسان خصومه يجعله يقف على أسباب عصيانهم،

فيطلقها أطروحات قابلة للنقض، ثم يقلبها على كل الوجوه. ولنتأمل النموذج التالي في كيفية تشييد الجاحظ لبنيان حجاجه:

"فإن قالوا: كيف يكون أبو بكر إمامًا، ولم يجتمع المسلمون على إمامته والرضا به؟! وقد قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، وقال سلمان: كرداذ ونكرداذ، وقال خالد بن سعيد: أرضيتم معشر بني عبد مناف هذا! وقال أبو سفيان بن حرب مثل مقالته، وخرج الزبير بسيفه شادًا، فلما رآه عمر قال: دونكم الكلب. وجلس علي في منزله واعتل بأنه آلى ألا يبرح حتى يجمع القرآن. قيل لهم: ليس الأمر على ما تقولون، ولو كان الأمر على ما تقولون: ما كان خلاف هؤلاء ناقضًا لأمره"(٧١)

فالجاحظ لا يكتفي بعرض وجهة نظره في مسألة الخلاف مع الشيعة حول إمامة أبي بكر الصديق، وإنما ينقل ادعاء خصومه نقلًا مسهبًا وسع من مجال المحاججة باستحضار الوقائع، والشواهد من أقوال الصحابة -رضوان الله عليهم-. ولم يكن هذا النقل لأقوالهم عفويًّا بل كان مقصودًا، مستخدمًا رابطًا حجاجيًّا (الشرط بإن) ومعلقًا جوابه لجمل متعددة، يمثل كلّ منها دليلًا حجاجيًّا لتوكيد دعوى الخصم:

قالت النصارى... قال سلمان ... قال خالد بن سعيد ... قال أبو سفيان

أو سلوكيًّا: خرج الزبير-جلس علي.

ليأتي الجواب: (قيل) ردًّا على الدعوى التي يتصدى مفندًا إياها واحدة تلو الأخرى، فتتوالى صور الحجاج، وتتعدد روابطه:

إن أنكروا هذه الأخبار ⟵ قيل لهم...

إن زعموا أنهم سمعوا ⟵ قلنا لهم ...

إن اعترضوا المحدثين والناقلين ⟵ قلنا ...

ويتسم نقل الجاحظ للحجج هنا، ورده عليها بسمتين:

الأولى: نزعة المشاركة الحوارية مع خصومه دون تحريف لدعواهم.

والأخرى: تنوع روابطه من عطف، واستئناف، وشرط في حسن تقسيم، وتوازن لفظي، ومقابلة، بحيث يمثل نسقًا لغويًّا وبلاغيًّا لا يحسن تركيبه إلا الجاحظ.

المبحث الثاني

مضامين الحجاج السياسي في رسالة (جمل جوابات العثمانية)

ارتبط مصطلح (الحجاج) في الثقافتين العربية والغربية بواحد من ثلاثة مفاهيم، ففي حين ارتبط في الفكر العربي بالجدل وعلم الكلام الإسلامي، استعمل في الفلسفة اليونانية في علاقة تبادلية بين الخطاب والجدل، أما المتأخرون فقد حرصوا على تصور نظرية في الحجاج تجعل منه مبحثًا فلسفيًّا ولغويًّا بعيدًا عن الجدل والخطابة.(٧٢)

لذلك ارتبط حجاج الجاحظ بعلم الكلام الإسلامي الذي نشأ كضرورة أملاها الواقع العربي بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم-وكان "للحروب الداخلية في المجتمع الإسلامي أثر مهم في تطوير النقاش في الموضوعات العقائدية".(٧٣) مما أسهم في تطوير مباحثه، وتنوع مشاربه.

ولتأطير مضامين الحجاج السياسي عند الجاحظ في الرسالة، فستركز الباحثة على أهم المضامين التي تعالقت مع معارف عصره، وعلومه.

أولًا: حجاج الجاحظ السياسي والإمامة:

مهدت (الإمامة) لظهور أول خلاف عقدي في المجتمع المسلم، فارتبط تعريفها عند أهل السنة بإقامة "الطابع التنظيمي والتنفيذي لرئاسة الدولة الإسلامية، وحفظ مصالح الناس وتحقيقها على هدي مبادئ الشريعة".(٧٤) فالإمامة تقوم على ثنائية الدين والدولة، وعلى الرغم من أهميتها في إقامة الدولة فإن علماء الأمة وفقهاءها دعوا إلى عدم الكلام فيها، أو الخوض في انتقاد الخلفاء؛ مخافة الفتنة في ديار المسلمين، يقول الإمام الغزالي:

"النظر في الإمامة ليس من المهمات، وليس أيضًا من بين المنقولات فيها بل من الفقهيات، ثم إنها مثار للتعصبات، والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض وإن أصاب، فكيف إذا أخطأ".(٧٥) ولذلك لم يصنف السلف من الفقهاء الإمامة من فروع الدين (٧٦)،وإنما كانوا يرون الأمر موكول إلى الصحابة ابتداءً، ثم للعامة في كل عصر ليختاروا أولياء أمورهم؛ استنادًا إلى أن أمرهم شورى بينهم، مستدلين بأن الرسول -عليه الصلاة والسلام-حين توفي لم ينصب للناس إمامًا، ولو كانت ذات أهمية لنص عليها كما نص على القبلة، والصلاة، والزكاة.(٧٧) وهي مسألة فقهية بالدرجة الأولى يعنينا منها هنا ما يتعالق مع الحجاج السياسي عند الجاحظ.

طرح الجاحظ في رسالته رؤيته للإمامة بعد وفاة الرسول -عليه الصلاة والسلام- محاججًا عن الأئمة، وما أثير حولهم من خلاف. وحرص في الرسالة على تتبع الإمامة عند الخلفاء الراشدين، ثم وسع رؤيته حول الإمامة في رسائل أخرى منها: (استحقاق الإمامة)، و(رسالة الحكمين)، و(رسالة فضل هاشم على عبد شمس)، و(العباسية)، و(فضل هاشم على من سواهم)، معرِّجًا إلى فترات من تاريخ الخلاف الإسلامي حول الإمامة. وتأتي هذه الدراسة؛ لتوضح جانبًا من موقف الجاحظ كفيلسوف، ومتكلم يرأس فرقته (الجاحظية) من موضوع الإمامة كمضمون من مضامين حجاجه السياسي؛ ولتكشف لنا عن جانب من شخصية الجاحظ، وفكره في مرحلة من تاريخ الخلافات التي ألقت بظلالها على تاريخ الأمة.

استهل الجاحظ رسالته بالتعريف بمكانة الإمامة في فقه الفرق المعاصرة له من: سنة، وشيعة، وخوارج، ومرجئة. مؤكدًا على وجوب الإمامة، والانقياد إلى إمام عادل عند الفرق كافة باستثناء النجدية من الخوارج الذين رأوا عدم لزوم الإمامة، وإنما أقروا بتعاطي الناس الحق بينهم.

وكانت أول أطروحة حجاجية استهل بها الرسالة تنبه إلى حرمة الاختلاف، ووجوب الانصياع لخليفة واحد، مستدلًا بحديث الرسول -عليه الصلاة والسلام-:

"إذا بويع أحد الخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما، وقوله تعالى: "وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ" ورجوع الأنصار عن قولهم: (منا أمير ومنكم أمير) للمهاجرين إلى طاعة أبي بكر والتسليم له".[٧٨] دون خوف ولا رهبة، ولم يعارض ذلك منهم إلا: "معاند دائص، باطل الحجة، له نفس جهليّة، ومعاندة إبليسية، لو تركت الهوى، ونابذت الجهل، وتروت بالعلم، وانقادت للإنصاف لأفلحت".[٧٩]

ومن هنا تبدأ الرسالة في استعراض حجج هؤلاء المعارضين إلى أن تصل في النهاية إلى دعوة خصومه إلى كلمة سواء تحقن دماء المسلمين؛ ليتأكد للدارس أن حجاج الجاحظ هنا من الجدل الإيجابي الذي يهدف إلى الإقناع لأجل الاقتناع، لا المعارضة لأجل المعارضة، يقول:

"دعونا جانبًا، واضربوا عما نقول صفحًا، وقربوا جميع القولين لنتعاون عليهما، فأيّهما كان أثبت على الامتحان، وأنفى للقذى، وأحسن مغزى، وأجد على الأيام، وأصح على التقليب، دنّا به، وحامينا عليه، وآثرناه على ما سواه".[٨٠]

ثم يفرق الجاحظ في شأن التعاطي مع الإمامة كتكليف بين عامة الأمة وخاصتها، ويخوض في مسألة (إقامة الإمام)، ويرى أن على الخاصة إقامة الإمام على الإمكان إذا كانت العامة تحت جند الباغي على الأمة، حتى لو كفت العامة عن العون لهم، شريطة أن يكون "المستحق للإمامة والمستوجب للخلافة معروف الموضع، مكشوف الأمر، وكانت التقية عنها زائلة".[٨١] والجاحظ في هذا ينظر إلى الحال والنصبة، وهي إحدى أصناف الدلالات المعنوية التي صنفها في كتابه البيان والتبيين.[٨٢] ويفترض في أطروحته إثارة الخصم لأمر التقية، وإقامتها مع إسقاط الحال في إلزام الإمامة؛ فيعلل للتقية هنا بأمرين:

الأول: أن العدو إذا كان مستعدا بالسلاح، وأمرهم جميع، فهم على قاعدة (قليل مجتمع أكثر من كثير نشر).[٨٣]

والآخر: أن الخاصة إن عرفوا المستحق، ولكنهم لا يصرحون به؛ ثقة في بعضهم بعضًا، فلا حاجة للتقية؛ مخافة التواكل، واعتماد كلا على الآخر، فلا فائدة إذا لم يعلنوا ذلك.[٨٤]

كما تناول الجاحظ في رسالته أخلاق الإمام الذي يخلف رسول الله -عليه الصلاة والسلام-التي تجسدت سلوكًا حاضرًا في شخص أبي بكر، وعمر، وعثمان -رضي الله عنهم أجمعين-لأنهم ساروا على نهج الإسلام الصحيح، ومثلوا الطبقة الأولى بعد اجتماع الأمة، يقول من مناقب أبي بكر "رجل بويع فغدا على يده أبراد ليتكسب فيها، وينفق على عياله، حتى ردوه، وفرضوا له في بيت المال نفقته المعروفة، فقام به -وبخليفته عمر- الدين، وفتحت الممالك، وزال ملك كسرى، وقيصر، والمقوقس، وذل الشرك".[٨٥]

ثم تصدى الجاحظ لآراء الشيعة من (زيدية- ورافضة)، فظهر محاججًا، ومتكلِّمًا، يرد الأطروحة بالحجج المتنوعة، التي يقلّب وجهها في الجهات المحتملة كلها. وحين يصل مع خصمه إلى حجاج سفسطائي يستشف من خلاله الانصراف عن الحق، والإعراض عن الاقتناع، والجدل لأجل الجدل، يصل إلى نقطة صفرية في الحجاج ترغم الجاحظ على التوقف عن مجادلتهم.

كما يوظف في حجاجه السياسي عددًا من المغالطات، منها ما يتناول الخطاب فيرصعه بأساليبه اللغوية، والبلاغية التي تكشف عورات خصومة اللغوية، والكلامية في مواطن الاستدلال.[٨٦]، ومنها ما يتعلق بالمعاني المطروقة كالخلط بين المطلق والنسبي، وتهوين الخصم[٨٧]، ومنها ما يتعلق بالانفعالات، وهي أبرز المغالطات التي أحسن

الجاحظ توظيفها، كمغالطة إثارة العواطف الدينية، والسخرية من الخصم لقصور وعيه وإمكاناته، ومن خلال تتبع حجج خصمه بالنقض، وتعرية أخطائه النقلية والعقلية.[٨٨] إلا أن الثابت في ذلك كله قناعة الجاحظ بأن خصومه لا يتمتعون بنزاهة الجدال، ولا المعرفة بمقومات الجدل في الآثار والأخبار، يقول:

"أنتم ليس لكم علم بالأثر ولا بالخبر، وكيف يعرف الآثار والأخبار من يكفر الأسلاف، ويبرأ من التابعين، ويجحد كل ما لم يوافق هواه، ويدعي ما وافق هواه وإن كان باطلًا، بل لا يرضى حتى يتقول الزور، ويولد الباطل".[٨٩] وهي رؤية لم تنفك عن الجاحظ في مواطن متعددة من رسالته.

لقد كانت مضامين الحجاج السياسي المرتبطة بالإمامة ثرية في الرسالة بحيث دفعت الجاحظ إلى تبني عدد من الرؤى السياسية التي وظفها في حجاجه، نلخص أبرزها فيما يأتي:

- أن "إبراء كل سقم أهون من إبراء سقم الحمية والطمع في الملك، ولا سيما إذا شابهما سوء تأويل، وضافرهما الحس بالقوة، وهذا هو الداء العضال."[٩٠]

- أن انتقاد الإمام لا يكون إلا في دار التقية لا في دار العلانية؛ مخافة شق الصف.[٩١]، وهذا مخالف لما ذهب إليه بعض الدارسين من أن كلام الجاحظ عن الصحابة، والخلاف بينهم يكشف عن جهله، وسوء تقديره لفضل هؤلاء الصحابة!

- إن الممسك عن الطعن، والخلاف في الفتنة التي أعقبت مقتل عثمان -رضي الله عنه-راضٍ ومسلّم بالواقع دون اعتراض. وهذا ما وظفه الجاحظ في حجاجه من خلال التأكيد على تجنب بعض الصحابة الخوض في الفتنة.

- إن اجتماع العامة على الصواب أمر لا ينال، ولكن الإجماع على طاعة رجل على غير الرغبة والرهبة، ولا الغرور أو الغفلة لا ينقصه، ولا يفسد شأنه شذوذ رجل أو اثنين عنه.[٩٢]

- ليس في طعن الطاعن على الحجة دلالة إذا كان المطعون عليه كاملًا أو فاضلًا.

- إن العداوة تشتد مع القربة والجوار، وتقل مع التباعد بينهم، وهو ما يفسر كثير من الصراع القائم في الأصل الواحد من النسب، أو المتجاورين من الأصحاب.

- حق الإمام في إخفاء بعض أمر الرعية عنهم؛ احترامًا لهم، وحقنًا لدمائهم؛ مما يقطع على العدو الفرقة، والتمكين عليهم.

ثانيًا: أثر الاعتزال في حجاج الجاحظ السياسي:

اكتست أفكار المعتزلة بردة دينية في مطلع الخلاف الديني حول الإمامة، واصطدمت عند الجاحظ بالتيارات الثقافية المعاصرة له، والناشئة عن الظروف السياسية والاجتماعية والعقدية لعصره؛ فاكتست ردوده على خصومه، ومخالفه آرائهم طابعًا عقليًّا جدليًّا، لا ينكر النقل، ولكنه لا يتردد في إخضاعه للعقل "فالفكر عندهم قبل ورود السمع"[٩٣]؛ لذلك برز في حجاجه في غير موضع تأويله للمتشابه من الآيات القرآنية، وإخضاعه الأحاديث لقياس العقل، بِعَدِّهِ (قوة تدرك بواسطتها العلم، وقوة مرشدة للإنسان في أعماله".[٩٤] لقد أثر الاعتزال في لغة الجاحظ السياسية، فانعكس على لسانه منطقًا وبيانًا، وظهر جليًّا في تلميحه، وتصريحه بآرائه الاعتزالية. وانعكس هذا التمجيد للعقل في تأويل القرآن الكريم، واعتماده على المعقول أكثر من اعتماده على المنقول شأن مذهب المعتزلة. فإن وقع من خصمه تأويل ظاهر الكلام على غير وجهه، فإنه لا يقبله إلا بخبر من الرسول -صلى الله عليه وسلم- أوبإجماع من أصحاب التأويل على تفسيره.

يقول في ذلك:

"في قوله "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ" يدل على العدد الكثير، وأنتم تزعمون أنه عني عليًا وحده، وليس لأحد أن يحيل (الذين) لواحد إلا بخبر مجمع عليه، فإن لم يقدر على ذلك، فليس له أن يحول معنى الكلام عن ظاهر لفظه".[٩٥]

أما موقفه من أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-فقد جلّاه في نهاية الرسالة حين كشف عن تشتت الرافضة في أفضلية علي على أبي بكر اعتمادًا على أحاديث مفردة الرواية غير مشهورة، فشكك في بعضها؛ لتعدد صور تأويلها، وعدم التيقن من صحة نسبتها، بل يتجاوز ذلك إلى التصريح بأن غلط المتأول لا يستوجب التكفير والمكابرة؛ "لأن ذلك الحديث لو كان صحيحًا لم يكن بأبين من القرآن ولا أوضح [٩٦] وموقف الجاحظ هنا يتشاكل مع موقف المعتزلة من رواية الأحاديث ذات الأسانيد المفردة التي لم تشتهر إلا على ألسنة رواتها.

وكان من آثار اعتزاله في الرسالة أن كَوَّنَ لنفسه فلسفة لخدمة حجاجه، ورؤاه في أمور الدين والسياسة، لاسيما أن الاعتزال اتجاه عقلاني ذو نزعة إنسانية تتعامل بإيجابية مع الفكر البشري.[٩٧] وتمثل مسألة (إمامة المفضول على الفاضل) واحدة من المسائل التي برز فيها تمسك الجاحظ بوجهة نظر فرقة المعتزلة التي ترى جواز إقامة المفضول مع وجود الفاضل، "فلا يشترط أن يكون الإمام أفضل الأمة علمًا، وأقدمهم رأيًا، وحمية".[٩٨] فالإمامة عنده تنال باستحقاق العمل. ولعل هذا ما يبرز دفاعه عن أبي بكر في وجه الرافضة، يقول:

"فكيف برجل قام بأمر الإسلام، وقد هتكت أستاره، وتقطعت أطنابه... وقمع النفاق بالمدينة وما حولها، وقتل مسيلمة، وأسر طلحة، ثم أوطأ خيله بالشام، وجند الأجناد، وقتل العدو بكل مكان، ثم لم يستأثر بدرهم، ولم يكنز دينارًا"[٩٩]. وبذلك أيقن الجاحظ أن الإمامة لا تنال إلا بفضل عمل، وميزة رأي، يقول:

"فلما وجدنا الأمر كما ذكرنا، علمنا أن النبي-صلى الله عليه وسلم-لم يصيره مستحقًا لأعظم الرياسات، وأشرف المقامات إلا بالعمل".[١٠٠]

أما مسألة (التعديل) و(التجوير) التي تعني عدل الله ونفي الجور عنه عند المعتزلة، فهي قضية واسعة ترتبط في جانب منها بمبدأ الحرية الإنسانية، فالله -عز وجل-عادل لا يظلم أحدًا من خلقه؛ لذا فالإنسان مسئول عندهم عن أعماله كلها من خير وشر، وهو ما سيحاسبه عليه الله؛ لأن: "الشرع والعقل قد حدد ثواب الإنسان وعقابه في الآخرة، ولم يمكن ذلك إلا لأنه مسئول عما فعل من طاعة أو معصية".[١٠١]وهم يفرقون هنا بين فعل الاضطرار وفعل الاختيار، ففي حين أن الأول لا يُسأل الإنسان فيه، فإن الآخر هو مناط السؤال والحساب؛ لأنها أفعال تكليف، ومحاسبة العبد "على ما لم يفعله يعد ظلمًا يجب أن ينزه الله عنه، ومن هنا وجب عندهم القول بحرية الإنسان".[١٠٢]

فالنظرية السابقة لمفهوم العدل عند المعتزلة تناولها الجاحظ في رده على زعم العثمانية في القول بالتسوية بين القريب، والبعيد في أطروحتهم حول عدم نيل الإمامة إلا بالدين مطلقًا. فيدخل الجاحظ التسوية بمنطق الفيلسوف في باب التعديل، والتجوير، ويلتمس لنفسه العذر في الإسقاط للقضية، وسوء التأويل من المتلقي حين يصرح بأنه "باب يشتد الكلام فيه ويغمض، فإذا أخبرنا عن فرعه، ولم نخبر عن أصله، لم ينتفع القارئ وصار وبالاً عليه".[١٠٣]

ثم يدلل الجاحظ على أطروحة فرقة العثمانية حول عدالة الله مع خلقه، ومعاني التسوية بين الناس بضرب الأمثال من القرآن الكريم حول عدم انتفاع الأبناء بصلاح آبائهم؛ مستشهدًا بقصة (إبراهيم) -عليه السلام-،

وكلام الرسول لصحابته وأهل عترته: (لا أغني عنكم من الله شيئًا).[١٠٤] ثم يردف بالشواهد التي تمثل حجاج سلطة يؤيد ما يذهب إليه.

ثالثًا: تعالق حجاج الجاحظ السياسي مع علوم المعرفة (الإبستمولوجيا):

كان لبروز العقل في قضايا العقيدة على يد علماء الكلام في القرن الثاني الهجري، والتوسع الجغرافي للإسلام، والتداخل مع المجتمعات ذات الديانات المتعددة التي يدعي كل منها امتلاك الحقيقة الدينية، أثره الملموس في نمو المعارف، وتشعب مسالكها، لا سيما مع اعتراف كثير من "فلاسفة المسلمين وعلمائهم بالعقل كمصدر من مصادر المعرفة". [١٠٥] مع تفاوتهم في تحديد درجة الأهمية، أو كيفية الإفادة منه في توجيه المعرفة عن الكون، والإنسان، والوجود.

لقد وعى الجاحظ حقيقة خلاف الأمة، فحدد منشأ الخلاف في جهل العامة بمقاييس المعرفة، مما جعلهم يخوضون بعلم وجهل، فتصدى لوضع المقاييس الضابطة لحدود المعرفة من منظور الفيلسوف الذي يحركه العقل والتدبر، والقدرة على التحليل، وربط المتغيرات بالأسباب والنتائج.

توقف الجاحظ عند العلاقة بين الإمام والرعية (العامة)، وفَصَّلَ الحديث عن العامة الذين يجهلون مقتضيات (الإمامة)، بِعَدِّهَا أداة في يد الخاصة، تسوسها وتوجهها؛ لأن مقام العامة من الخاصة مقام الجوارح من الإنسان، وهي رؤية تحمل طابعًا استعاريًّا فلسفيًّا. كما ركز على قضية أخرى تقوم على أن العامة لا تعرف قصد القادة، فيتجرد الجاحظ مصورًا الجوارح إذا فُرِضَ عليها عارض من علة أو مرض أعاق عملها، رابطًا ذلك بالعلاقة بين شطط القوم على القادة، وخروجهم عن مشورتهم، فيثوروا على قادتهم، ويغلب عليهم الهوى. وهكذا يشرح الجاحظ مسألة الخلاف حول الإمامة الناشئ عن طغيان العوام على شؤون الخاصة (القادة).

ثم يقسم معرفة العوام قسمين: معلوم ومجهول؛ فالمعلوم يشمل جملة أمور الشريعة بعيدًا عن التأويل. والمجهول: كل ما يمكن استغناؤهم عنه من التفسير، وعلوم التأويل، وما يستوجب تكلّف المعرفة لبلوغه، ويدخل ضمن علوم الخاصة أخبار غامض السنن والأخبار. ثم يقسم الخبر بناء على ذلك نوعين:

الأول: خبر ليس للخاصة فيه فضل على العامة، وهو العبادات، والأصول. والآخر: خبر تفضل فيه الخاصة على العامة، ويشمل فقه العبادات وتأويلها.[١٠٦]

وفي سياق أخر يحذر الجاحظ من المتعالم الذي يعرف كل العلوم العقلية، والنقلية، والحسابية، والفلكية، والفلسفية، فينتهي به الأمر إلى تكفير من خالفه، مشغلًا فتنة للرأي، ومخالفة للإجماع. وهو بذلك يجرد طبيعة العداء المستشري في الأمة بين الطوائف، والفرق الدينية التي تنازع الخاصة من أهل العلوم معارفهم؛ لأن المعارف والعلوم تتفاضل كما يتفاضل البشر، ولولا لب الخلاف، وتفاوت درجات المتعلمين لما حدث التفاضل بين العامة والخاصة، وانتفى التكامل وفق مقولة: (الاختلاف سبب الائتلاف)[١٠٧]

ويرى أن ضابط العدالة في أصول العلاقة بين معارف العامة، والخاصة إنما هو معرفة جمل الشرائع، والسنن الظاهرة، وتفسير الشرائع، وتأويلها مما لم يظهر من النصوص الصريحة.[١٠٨]

لقد أَصَّلَ الجاحظ في رسالته لقضية التفاوت في علوم الدين، والقدرة على القياس والاستنباط، وفساد المعتقد الذي يكشف خبث السريرة، وعَرَّجَ إلى الحجج، فصنف العوام إلى: محجوجين وغير محجوجين، وفق إقامة الدليل من عدمه، [١٠٩] ثم صنف الأدلة في قبولها بين قطعية الثبوت، والدلالة كالمعجزات الثابتة. وظنية الثبوت، والدلالة الثابتة مما خضع للأهواء، والفطر السليمة، وهي أمور عند خصومه كشفت عن ضحالة معرفتهم، وعجز الإبانة، والجهل ببواطن الحجج.

ثم يصور الجاحظ حال العامة في التعاطي مع مسألة الإمامة، ويرى أن المصيبة العظيمة، هي انحياز العامة إلى فئات من الخاصة، فتعلو طائفة على أخرى، (١١٠) وتستباح الدماء، وينكشف أمر العامة للأعداء. وهو يسقط ذلك كله على دافع الخلاف الذي جلاه في رسالته بين الفرق المتنازعة، وإن المعرفة بالمستحق للإمامة يستوجب إقامته؛ حقنًا لدماء الأمة.

كما أن مربط المفاضلة في أمر الإمامة شهرة الإمام علمًا، وفضلًا، وعلو كعبه بين الناس خلقًا، وخلوً سلوكه من الخيلاء، ثم تقوده هذه المعرفة إلى ثلاث صور لإقامة الإمام في الإسلام:

١. إقامة الإمام على معنى الدلالة، ووضوح العلامة، بائنًا عن العامة.

٢. أن يكون بائنًا عن الخاصة، وتقبله العامة لفضله.

٣. إقامة الإمام شورى بينهم.

الخاتمة:

وبعد استقراء رسالة الجاحظ (جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية) في هذه الدراسة، يمكن إيجاز معالم العملية الحجاجية السياسية عند الجاحظ في الأمور الآتية:

١- مثلت رسالة الجاحظ (العثمانية) خطابًا سياسيًّا للإمامة ينهض على سياقات تواصلية تتفاوت بين: توجيه، وتصويب، ومعارف، وإقناع، وفق آلية حوارية.

٢- ترتبط الآراء السياسية في رسالة الجاحظ بآرائه الكلامية، بحيث لا تشكل منظومة أصيلة بوقائعها وإنما مرآة لثقافة المتكلمين، ووجهة أدبية للحجاج الإقناعي في عصره.

٣- يتسم الخطاب السياسي عند الجاحظ بسمتين:

الأولى: المشاركة الحوارية لخصومه، وتعدد الأصوات.

الأخرى: تنوع الروابط الشرطية، والاشتقاق، وحسن التقسيم.

٤- يصنف خطاب الجاحظ السياسي في الرسالة على أنه خطاب استدلالي حجاجي؛ نظرًا لتعدد الأدلة التي ساقها في السياق الواحد.

٥- حدد الجاحظ في رسالته زاد المحاجج السياسي من المعارف بالتأويل والمتشابه، والجرح والتعديل، وأنساب العرب، والمعرفة بالبلاغة، وعلوم الكلام والمعرفة، والفرق الدينية.

٦- مثّل مستوى الحركات في حجاج الجاحظ مستوى تراتبيًّا يعنى بتنامي الحجاج؛ للوصول إلى النتيجة التي يسعى المحاجج الوصول إليها.

٧- تنوعت هياكل السلالم الحجاجية عند الجاحظ بين حجاج تصاعدي، وتنازلي، وتراكمي، أسهمت في تعدد مستويات الخطاب.

٨- فَرَّقَ الجاحظ في التعاطي مع الإمامة بين فئتين: العامة والخاصة. ورأى كفيلسوف أن النكبة الكبرى للأمة هي تصدي العامة لعلوم الخاصة دون علم، ولا رويّة.

٩- أثرت ثقافة الاعتزال على حجاج الجاحظ؛ حيث كَوَّنَ لنفسه فلسفة تخدم حجاجه في أمور الدين، والسياسة، معتمدًا اتجاهًا عقليًّا بنزعة إنسانية.

التوصيات:

١- دراسة الحجاج السياسي في رسائل الجاحظ دراسة تداولية.

٢- دراسة المغالطات الحجاجية في حجاج الجاحظ السياسي من خلال رسائله.

المصادر والمراجع:

- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (١٩٨٦) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة(١) الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود. الجزآن: السادس /الثامن

- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر(١٤٣١) تفسير ابن كثير. تحقيق: حكمت بشير ياسين. الطبعة (١). الرياض: دار ابن الجوري.

-أرسطوطاليس(١٩٩٨) الخطابة. تحقيق: عبدالرحمن بدوي. الطبعة (١) القاهرة: مطبعة النهضة المصرية.

-الأشعريّ، أبو الحسن علي بن إسماعيل(١٩٩٠) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. الطبعة (١) بيروت: المكتبة العصرية

-أعراب، حبيب(٢٠٠١) الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري. الكويت: عالم الفكر. العدد الأول مجلد (٣)

-بوصباط، ماهر(٢٠١٥) نقد الحجاج وسيميائيات الأهواء من خلال كتاب البخلاء للجاحظ. الطبعة (١) تونس: الدار التونسية للكتاب.

-بوفار، عبدالسلام(٢٠١٦) الروابط والعوامل الحجاجية في رسائل الجاحظ ،رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر: جامعة مولود معمري

- التريكي، منير(٢٠٠٢) آليات تحليل الخطاب السياسي، مجلة الحياة الثقافية، عدد ١٣٢

-التميمي، حيدر قاسم(٢٠١٨) علم الكلام الإسلامي في دراسات المستشرقين الألمان: يوسف فان أس أنموذجا. الطبعة(١)، بيروت: دار الروافد الثقافية.

-الجاحظ، عمرو بن بحر(١٤٣٥) جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية، تحقيق: أبو الفضل القونوي الطبعة الأولى. الرياض: مركز الفكر المعاصر.

- الجاحظ، عمر بن بحر(١٩٩١) العثمانية، تحقيق: عبدالسلام هارون. الطبعة (١). بيروت: دار الجبل

-الجاحظ، عمر بن بحر(١٩٩٨) البيان والتبيين. تحقيق: عبدالسلام هارون. الطبعة (٧). القاهرة: مكتبة الخانجي.

-الجاحظ، عمر بن بحر(٢٠١٠) رسائل الجاحظ. الطبعة (١). بيروت: دار ومكتبة الهلال. الجزء الأول

- حمداوي، جميل(٢٠١٤) من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، الطبعة (١) بيروت، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق

-حناويّ، نور الهدى (٢٠١٤) تقنيات الحجاج عند الجاحظ -كتاب العثمانية أنموذجا. مجلة التراث العربي. دمشق: اتحاد الكتاب العرب. العدد ١٣٢/١٣٣-٩١-١٠٤

الخيوّن، رشيد (٢٠١١) معتزلة البصرة وبغداد. الطبعة(٣). بيروت: مدارك.

-الذهبي، شمس الدين (١٩٦٣) ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي. الطبعة(١) بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر. الجزء الثالث.

-سرحان، هيثم(٢٠١١) الحجاج عند الجاحظ بحث في المرجعيات والنصيات والآليات، مجلة جامعة الكويت، العدد ١١٥|. ٥٥-٨٩

السواعير، علي ونزيه أعلاوي (٢٠١٤) إشكالية الإسقاط وآلية التأويل. دورية كان التاريخية. عدد٢٤. ٣٦-٤٢

- شلمت، فيكور(١٩٨٧) النزعة الكلاسيكية في أسلوب الجاحظ، الطبعة (د) بيروت: دار المشرق

-الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم (٢٠١٠) الملل والنحل. الطبعة (٢) دمشق: مؤسسة الحلبي.

الشهري، عبدالهادي (٢٠٠٤) استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية. الطبعة (١) بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

-الطبريّ، محمد بن جرير(٢٠١٣) تفسير الطبريّ. تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. الطبعة (د) الرياض: دار عالم الكتب.

- عبدالرحمن، طه.(٢٠١٤) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الطبعة (٥) بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

- عبدالرحمن، محمد ومحمد قمر الزمان(٢٠١٤) نظرية أفعال العباد عند المعتزلة، مجلة الفكر الإسلامي الدولية. العدد السادس. The theory of human act According to the mutazilites _ ٨٧-١٠٢

-العسقلاني، أحمد بن علي(١٣٧٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري. حقيق: عبدالعزيز بن باز ومحمد فؤاد عبدالباقي. الطبعة (٢) بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

- العمريّ، محمد (٢٠١٧) المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة. الطبعة (١). الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

-العوا: عادل(٢٠٠٠) المعتزلة والفكر الحرّ. الطبعة(١) دمشق: دار الأهالي.

-الغزالي، أبو حامد محمد (١٩٩٤) الاقتصاد في الاعتقاد. تحقيق: موفق فوزي الجبر. الطبعة (١) دمشق: الحكمة للطباعة والنشر.

-قادا، عبد العالي(٢٠١٥) الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية الأندلسية من خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا. الطبعة (١). عمان: دار كنوز المعرفة

-المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسن(١٩٧٣) مروج الذهب، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة(٥) بيروت: دار الفكر

-الهنائي، سليم محمد (٢٠١٥) رؤية الجاحظ في الدولة الأموية، محلة الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة السلطان قابوس، العدد.

الهوامش:

(١) (قضاب، ١٩٨٥، ٢٧)

(٢) (بوفار، ٢٠١٦م، ١٦)

(٣) (الجاحظ، ١٤٢٤هـ،٨٨/١)

(٤) (سرحان، ٢٠١١م، ٨٩/٥٥)

(٥) حناوي، ٢٠١٤م، ع١٣٢/٩١-١٠٧)

(٦) السواعير وأعلاوي، ٢٠١٤م، ع٣٦/٢٤-٤٢)
(٧) (بوفار،٢٠١٦)
(٨) (الجاحظ، ٢٠١٠م، المقدمة)
(٩) (الجاحظ، ٢٠١٠م، ٢٧٨)
(١٠) (المسعودي، ١٩٧٣م، ٤٥٠/١)
(١١) (التريكي، ٢٠٠٢م، ٩)
(١٢) (قادا، ٢٠٠٧م، ١١٩)
(١٣) (فيكتور، ١٩٨٧م، ١٨٢)
(١٤) حمداوي، ٢٠١٤م،٤٤)
(١٥) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٢٣)
(١٦) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٠٣)
(١٧) السواعير وآخرون، ٢٠١٤م، ٣٦-٤٢)
(١٨) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢١٧)
(١٩) (ابن حجر، ١٣٧٩هـ، ٤٥٣/١)
(٢٠) (الذهبي، ١٩٦٣، ٣٨٥/٣)
(٢١) (ابن تيمية، ١٩٨٦م، ١٩٩/٦)
(٢٢) (ابن تيمية، ١٩٨٦م، ٢٠١/٦)
(٢٣) (ابن تيمية، ١٩٨٦م، ٢٣٨/٨)
(٢٤) (أعراب، ٢٠٠٣م، ٩٩/٣)
(٢٥) (قادا، ٢٠١٥م، ٣٦/٣٥)
(٢٦) (ينظر: بوصباط، ٢٠١٥م، ٣٣)
(٢٧) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٢٥/١٢٠/١١٤)
(٢٨) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٣٤)
(٢٩) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٣١، ١٣٠ ١٣٥)
(٣٠) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٣٠، ١٣١)
(٣١) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٢٥)
(٣٢) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٧٢)
(٣٣) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٢١)
(٣٤) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٣٢، ١٦٢، ١٨٨)
(٣٥) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٢٩)
(٣٦) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٥٨، ١٥٩)
(٣٧) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٢٨/ ١٢٩/ ١٤٠)
(٣٨) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٥٩/١٥٨)
(٣٩) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٦٢)
(٤٠) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٥٦)
(٤١) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٦٢)
(٤٢) الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٦٢، ١٦٣)
(٤٣) (حمداوي، ٢٠١٤م، ٣٧)
(٤٤) (السواعير وأعلاوي، ٢٠١٤م، ٣٦-٤٢)
(٤٥) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٧٥)
(٤٦) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١١٧)

(٤٧) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٨٨)
(٤٨) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٦٢)
(٤٩) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١١٢/١١٠)
(٥٠) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٣٤٤)
(٥١) (الجاحظ، ٢٠١٠م)
(٥٢) (التميمي، ٢٠١٨م، ١٣٤)
(٥٣) (عبد الرحمن، ٢٠١٠م، ٧٤)
(٥٤) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٥١/٥٠)
(٥٥) (ينظر: الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٦٦/٧٠/٨٠/١٨٨)
(٥٦) (ينظر: الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٩١-١٩٣)
(٥٧) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٣٠)
(٥٨) (ابن كثير، ١٤٣١هـ، ٢١٨/٥)
(٥٩) (الطبري، ٢٠١٣م، ١٤٤/٢١)
(٦٠) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٥٣)
(٦١) (قادا، ٢٠١٥م، ٩٨)
(٦٢) (قادا، ٢٠١٥م، ١٢٥)
(٦٣) (الأشعري، ١٩٨٠م، ٢/١)
(٦٤) (الغزالي، ١٩٩٤م، ٢٠٠)
(٦٥) (قادا، ٢٠١٥م، ٣٧٢)
(٦٦) (قادا، ٢٠١٥م، ٣٧٥)
(٦٧) (أرسطو، ١٩٥٣م، ٢٣٧)
(٦٨) (ينظر: حمداوي، ٢٠١٤م، ٤٨)
(٦٩) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٠٩)
(٧٠) (ينظر: حناوي، ٢٠١٤م، ٩٣).
(٧١) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٨١)
(٧٢) (قادا، ٢٠١٥م، ٣٤)
(٧٣) (قادا، ٢٠١٥م، ٦٩-٧٠)
(٧٤) (قادا، ٢٠١٥م، ٧٥)
(٧٥) (الغزالي، ١٩٩٤م، ٢٠٠)
(٧٦) (التميمي، ٢٠١٨م، ٧٦)
(٧٧) (التميمي، ٢٠١٨م، ٧٨)
(٧٨) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٨)
(٧٩) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٣٠)
(٨٠) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٥٥)
(٨١) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٥٨)
(٨٢) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٨١/١)
(٨٣) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٥٨)
(٨٤) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٥٩)
(٨٥) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٩)
(٨٦) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٩٢، ٢١٢، ٢٣٠)
(٨٧) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٦٤، ٢٣٧)

(٨٨) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٧٤، ٢٣٨، ٢٤٠)
(٨٩) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٨٥)
(٩٠) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٠٤)
(٩١) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٩٤)
(٩٢) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٠٠)
(٩٣) (الخيوّن، ٢٠١١م، ٢١)
(٩٤) (العوا، ٢٠٠٠م، ٧٤، ٧٥)
(٩٥) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٣٥)
(٩٦) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٤٨)
(٩٧) (التميمي، ٢٠١٨م، ٣٨٢/٣٨٣)
(٩٨) (الشهرستاني، ٢٠١٠م، ٢١٥/١)
(٩٩) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ١٩١)
(١٠٠) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢١٠)
(١٠١) (عبد الرحمن وآخرون، ٢٠١٦م، ٨٨)
(١٠٢) (عبد الرحمن، ٢٠١٤م، ٨٨)
(١٠٣) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢١٠)
(١٠٤) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٨٠)
(١٠٥) (نظرية المعرفة في الإسلام، ٢٠١٤م، ٢١٥).
(١٠٦) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٥١)
(١٠٧) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٥٤)
(١٠٨) (ينظر: الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٥٤)
(١٠٩) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٥٥)
(١١٠) (الجاحظ، ١٤٣٥هـ، ٢٥٦)